العدل والإحسان في الإسلام
دراسة دعوية

إعداد

د. زينب عبد اللّه الراجحي

الأستاذ المساعد في المعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية

الرياض

من ٢٤٩ إلى ٣٠٨

العدل والإحسان في الإسلام دراسة دعوية

زينب عبد الله الراجحي

المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني:dr.za.alrajhi@gmail.com

الملخص :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، فهذا البحث بعنوان (العدل والإحسان في الإسلام – دراسة دعوية) الهدف الرئيس منه بيان وتوضيح أهمية الدعوة إلى العدل والإحسان بين الناس مهما اختلفت دياناتهم ومذاهبهم وعقائدهم، وما لهما من أهمية بالغة في استقرار المجتمعات ، وإشاعة روح المحبة والتكاتف بين أفراده ، وبينت حرص الإسلام على هاتين القيمتين من خلال استقراء نصوص الوحيين الكتاب والسنة، ومن أهم النتائج التي توصلت لها : أن الحياة لا تستقيم إلا من خلال تحقيق العدل والإحسان بين أفراد المجتمعات، وأنهما يدخلان في كل مجالات الحياة ، ومن النتائج ضرورة الدعوة إليهما استجابة لأمر الله ﷻ .

الكلمات المفتاحية :العدل ، الإحسان ، الدعوة ، القسط ، الفضل .

Justice and Charity in Islam - A Study of Prayer

Zainab Abdullah Al-Rajhi
the Higher Institute for Call and Accounting، Imam Muhammad Bin Saud Islamic University, Saudi Arabia.
Email:dr.za.alrajhi@gmail.com

Abstract:

Thank God, peace and prayer sought by the Messenger of God, this research is entitled "Justice and Charity in Islam - A Study of Prayer" whose main objective is to explain the importance of calling for justice and charity among people, regardless of their religions, creeds and beliefs, and their great importance in the stability of societies, and Spreading the spirit of love and solidarity among its members, and showed islam's keenness on these two values by extrapolating the texts of the revelations of the Book and sunnah, and one of the most important results I have reached: that life is not upright except through the achievement of justice and charity among the members of the communities, and that they enter all areas of life, and from The consequences are the need to call them in response to Allah's command.

keyword: justice, charity, da'wa, installment, credit.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الناصح الأمين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد

فإن الله ﷻ أنزل الشريعة الإسلامية السمحة وفيها من المبادئ والقيم التي يتوقف عليها صلاح الأفراد والمجتمعات واستقامتها، وتعينهم على الاستقرار والطمأنينة في حياتهم ، فحثهم على التعامل فيما بينهم بالعدل والإحسان، والتعايش بالألفة والمحبة لتحقيق جودة الحياة وتعزيزها ،وهذا يتأتى من بذل المعروف بالقول والفعل لكل أحد ، وهذه منزلة عظيمة ، فقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]

كما أكد سبحانه على الإحسان بالقول والفعل في أكثر من موضع فقال تعالى : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾[2] وقال سبحانه ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [4]

كما أمر ﷻ إلى الإحسان إلى الوالدين وقرنه بعبوديته خاصة عند كبرهما فهما في أشد الحاجة إلى الرحمة والشفقة والإحسان والدعاء ، فقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ

([1]) سورة النحل ، الآية(٩٠) .

([2]) سورة البقرة ، جزء من الآية (٨٣) .

([3]) سورة الإسراء ، الآية (٥٣) .(

([4]) سورة البقرة / جزء من الآية (١٩٥)

ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [1] ، كما حث ﷺ على الإحسان إلى ذوي القربى واليتامى والمساكين وكذلك الجار فقال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾ [2] .

فهذه التوجيهات الربانية التي تحمل بين طياتها توجيهات أخلاقية تحث على العدل والإحسان مع الناس تحقق مقاصد الشريعة من جلب المصالح ودفع المفاسد ، وبها ترقى الشعوب والأمم .

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدعوة إلى العدل والإحسان من خلال الأمر الإلهي بالتزامهما ، فالعدل من أهم القيم في الإسلام ويتبعه الإحسان، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [3] فقد أرسل الله ﷻ رسله ، وأنزل كتبه فيها ميزان العدل ؛ ليقوم الناس بالقسط ، فيأخذوا حقًا ويعطوا حقًا ،فقال

([1]) سورة الإسراء ، الآية (٢٤) .
([2]) سورة النساء ، الآية (٣٦) .
([3]) سورة النحل ، الآية(٩٠) .

تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ (١)

والمتأمل في هذه الآية الكريمة الجامعة يجد أن الله تعالى ابتدأها بالتأكيد على الأمر بالعدل ، والحث عليه، ثم أتبعه بالإحسان ، وهو الإتقان وجودة العمل، كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (٢) فكان من الأهمية بمكان أن نبين هذا الأمر العظيم من جميع جوانبه ، العقدية والتعبدية والأخلاقية، وآثاره العظيمة على الفرد والأسرة والمجتمع وأثره في بقاء هذه الأمة آمنة مطمئنة .

فشريعة الإسلام كلها عدل وإحسان قال تعالى : { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ } (٣)ذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله في تفسيره هذه الآية : (قال قتادة:–رحمه الله– : صادقاً فيما قال ، وعدلاً فيما حكم ، يقول صدقًا في الأخبار ، وعدلاً في الطلب ، فكل ما أخبر به فحقٌ لا مرية فيه ولا شك ، وكلُّ ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه ، وكلُّ ما نهى عنه فباطل؛ فإنَّه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ (٤) *إلى آخر الآية)* (١) ومن إحسان الله تعالى لعباده بأن أحل لهم الطيبات ، فكل شيء طيب فهو حلال لهم ، وكل خبيث حرمه عليهم .

---

(١) سورة الحديد ، الآية (٢٥)

(٢) سورة الملك ، الآية (٢) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (١١٥) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية (١٥٧) .

أهـداف البـحث:

١-بيان مفهوم العدل و الإحسان، وأهميتهما في الدين الإسلامي .

٢- التأكيد على العدل و الإحسان إلى الخلق .

٣-بيان دعوة الشريعة الإسلامية إلى العدل والإحسان من خلال المجالات المختلفة .

٤- بيان ثمار الدعوة إلى العدل و الإحسان و المفاسد المترتبة على تركهما.

الدراسات السابقة :

بعد البحث في عناوين الأبحاث لم أجد دراسة علمية تناولت العدل والإحسان من جانب تفصيلي دعوي ، لكن هناك بعض الدراسات التي أشارت إلى العدل والإحسان في الإسلام بصورة عامة ومن هذه الدراسات:

١) الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية رسالة دكتوراه ، أحمد بن سعد بن أحمد الغامدي ، جامعة أم القرى ،١٤٢٢هـ.

٢) العدل في القرآن دراسة موضوعية – مجلة العلوم الإسلامية الجامعة العراقية، العدد الثامن ١٤٣٢هـ

منهـج البحث:

سوف أقوم -بإذن الله تعالى- باستخدام المنهج الاستقرائي لجمع الآيات الكريمة التي تحث على العدل والإحسان ، واستقراء أقوال المفسرين فيها ، وكذلك جمع الأحاديث النبوية الشريفة واستقراء أقوال شُرّاح الحديث .

كما إنني سوف أستخدم المنهج الاستدلالي ؛ وذلك لأن هذه الدراسة تأصيلية، فيتعين الاستدلال بالكتاب والسنة، وعرض ما طبقه الصحابة الكرام ﷺ والتابعون لهم بإحسان .

---

(١) تفسير الحافظ ابن كثير -رحمه الله- ٢٧١/٤ .

خطة الدراسة :

انتظمت خطة الدراسة على تمهيد و ثلاثة مباحث :

التمهيد يشمل :

١-مفهوم العدل و الإحسان .

٢-أهمية العدل والإحسان في الشريعة الإسلامية وحاجة البشرية إليه.

المبحث الأول : الدعوة إلى العدل والإحسان ، من خلال نصوص الكتاب والسنة .

المبحث الثاني : دعوة الشريعة الإسلامية إلى العدل والإحسان من خلال المجالات المختلفة .

المبحث الثالث: ثمار الدعوة إلى العدل والإحسان .

الخاتمة وتحتوي على :

- أهم النتائج والتوصيات .

_ أهم المصادر المراجع .

التمهيد

خلق الله ﷻ الخلق وهو أعلم بما يُصلح أحوالهم في معاشهم ومعادهم ، فشرع العدل , والإحسان وأمر بهما وبالدعوة إليهما ، فالعدل هو أساس صلاح البشر ، والناس اليوم أحوج ما تكون إلى العدل الذي أقامه الإسلام ، وشرعه على الأرض ، ليُصحح مسار البشرية قاطبة ، وليعم الاستقرار والأمان الذي يُعد من أهم الضروريات في حياة الناس ، كما حث على الإحسان بالقول والفعل في العبادات والمعاملات وسائر شؤون الحياة .

وسأتحدث في هذا التمهيد عن مفهوم العدل والإحسان وأهميتهما في الشريعة الإسلامية .

أولًا : مفهوم العدل في اللغة والاصطلاح

تعريف العدل في اللغة : وهو ضِدُّ الجَوْر، والعدل : هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأَصل مصدر . والعَدَالة: وُصِف بالمصدر، معناه ذو عدل ، وقال في موضعين: "وأَشْهِدوا ذَوَيْ عَدْلٍ منكم"، وقال: "يَحْكُم به ذَوَا عَدْلٍ منكم" (١) وقيل :هي الاستقامة .(٢)

واصطلاحاً :العدل هو: (أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه) (٣)

وقيل هو: الاستقامة على طريق الحق والبعد عما هو محظور دينًا ، وهو الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وفي اصطلاح الفقهاء: من اجتنب الكبائر، ولم يصر على الصغائر، وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيسة،

---

(١) انظر لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : عدل ، ٤٣٠/١١ . وانظر : الصحاح في اللغة ،الجوهري ، ١٧٦٠/٥ ، القاموس المحيط للفيروزآبادي ،ص١٠٣٠ .

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أبي البقاء الكفوي ، ص١٥٠.

(٣)الأخلاق والسير ، ابن حزم ، ص٨١.

كالأكل في الطريق والبول، وقيل: العدل، مصدر بمعنى: العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق. (١)

(ومعنى العدل من تعتدل أحواله في دينه وأفعاله). (٢)

من خلال ما سبق من تعريفات ؛ نجد أن مفهوم العدل واسع يشمل جميع مناحي الحياة ، فعدل الإنسان مع نفسه ومع ربه ﷻ ، ومع نبيه ﷺ ،وسائر من يتعامل معه .

ثانيًا: مفهوم الإحسان في اللغة والاصطلاح

الإحسان لغة : مصدر أحسن ، والإحسان نقيض لإساءة ،يُقال:رجل محسن ومحسان : أي جاء بفعل حسن ، وكثير الإحسان (٣)

واصطلاحًا : من التعريفات التي ذكرها بعض العلماء عن الإحسان :

(الإحسان مقابلة الخير بأكثر منه ، والشر بالترك أو بأقل منه)(٤)

(الإحسان : هو العبادات والأعمال التي يَتقرّب بها المسلم إلى الله تبارك وتعالى من النوافل التي لم يفرضها الله على المسلم؛ فاعتبر العلماء أن التزام النوافل يُعتبر من الإحسان)(٥).

وهو : (بذل جميع المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق يكون، ولكنه يتفاوت بتفاوت المحسن إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإحسان، وعظم موقعه،

---

(١) التعريفات للجرجاني ، ص١٤٧.

(٢) المغني ، ابن قدامه–رحمه الله– ١٤٨/١٠ .

٣) انظر : الفروق اللغوية ،للعسكري ، ١٩٣/١ ، وانظر لسان العرب ابن منظور ،

٤) فتح الباري ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ٤٨٠/١٠ .

٥) جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري ، [ط١ ، السعودية: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ٦٦٥/٨ .

وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي له إلى ذلك)[١]

و من خلال معرفة أنواعه ، فقد ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله – أنواع الإحسان فقال : (إحسان في عبادة الخالق، بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه. وهو الجد في القيام بحقوق الله على وجه النصح، والتكميل لها ، وإحسان في حقوق الخلق أن تقوم بحقوقهم الواجبة)[٢]

ومن خلال ما سبق يتبين بأن الإحسان : جامع لكل قول حسن ، وكل فعل حسن ،بأن يتقن العمل ويسعى أن يكون كاملًا من جميع جوانبه ، ويزيد عليه البذل وحسن الأخلاق و وإيثار الآخرين وغيرها من محاسن الخلاق .

ثالثاً : أهمية العدل والإحسان في الشريعة الإسلامية

تظهر أهمية العدل في الإسلام من شرف منزلته عند الله تعالى، ومكانة من يتصف به من الناس ، كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم-رحمه الله- في صحيحه- قال رسول الله ﷺ " إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا "[٣] فهذه المكانة العظيمة، والمنزلة الرفيعة لجميع من يتولى أمرًا ويعدل في حكمه وفي أهله وكل من هو مسؤول عنه ، قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث :(أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما

---

[١])بهجة قلوب الأبرار ، وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، ط٤[الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف ، ١٤٢٣هـ] ١٢٨/١ .

[٢]) مرجع سابق ، ١٢٧/١ .

([٣]) صحيح الإمام مسلم-رحمه الله- كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، برقم ١٨٢٧/ ،٤٥٨/٣.

تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم أو صدقة أو وقف ، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك).[١]

إن الناس على اختلاف أوضاعهم وثقافاتهم في حاجة ماسة للشعور بعظم جناب العدل وإقامته ،والواجب على الأفراد والجماعات إقامته فيما بينهم ، والدعوة إليه ، والتواصي به ، فهو قوام الحياة، ومن حق كل فرد أن يحصل عليه من غير مشقة ، ولا يمكن التهاون والتساهل بالعدل ؛ لأن هذا يؤدي إلى ظلم الناس الذي حرمه الله تعالى على نفسه وعلى عباده ، ففي الحديث القدسي " يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا .. الحديث " [٢]

وقد توعد الله ﷻ من يحيف عن العدل ويتبع هواه بالعذاب الشديد فقال تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [٣] فالآية تنبه وتحذر بأن الحكم الجائر واتباع الهوى إنما هو ضلال عن سبيل الله تعالى ، ثم اعقب سبحانه وتعالى هذا ببيان الجزاء المترتب عليه وهو العذاب الشديد .

([١])شرح النووي على صحيح مسلم ، ٢١٢/١٢ .

([٢]) رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب :تحريم الظلم ، برقم / ٢٥٧٧، ٩٩٤/٤ .

([٣]) سورة ص ، الآية (٢٦) .

كذلك حذرنا رسول الله ﷺ من أن نحيد عن العدل حتى مع أقرب الناس؛ فقال ﷺ في شأن المخزومية التي سرقت " وَايْمُ اللَّهِ : لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " (١)

ومن هذا المنطلق فإن البشرية بحاجة إلى العدل ، وأداء الحقوق العامة والخاصة ، ففعل الرسول ﷺ يدل على العدل المطلق الذي لا يحابي أحدًا مهما كانت قرابته ، فلا يفرق بين قريب وبعيد أو بين جنس و جنس، أو لون ولون، كما لا يفرق بين عدو وصديق، فتحقيق العدل بين الناس هو المفروض، وهو الذي أمرنا به الشارع الحكيم .

إن إلزام الشريعة الإسلامية الناس بإقامة العدل بينهم ، ودعوتهم إليه ، واجتناب الظلم والنهي عنه ؛ ذلك من أجل تنظيم حياتهم واستقرارها؛ فالإنسان لا يمكن أن يعيش منفردًا لا يُخالط أحدًا ولا يتعامل مع أحدٍ، بل هو كائن اجتماعي، فطره الله تعالى على ذلك، ومصالحه قائمة بعلاقاته مع الجماعة ، والبيئة المحيطة به ، وتزيد الحاجة لتوثيق هذه العلاقات كلما زادت مطالب الفرد في معيشته، فتكثر معاملاته وعلاقاته بالآخرين ، ومن هنا يتبين السلوك ، وتظهر الأخلاقيات ، فمنهم من يطغى هواه على شرع الله تعالى فينساق خلف أطماعه ويأخذ ما ليس له حق فيه ، أو قد يحابي قريبًا فيعطيه مالا يستحق من مال أو منصب أو غير ذلك ، أو قد يقول ويشهد زورًا ، وغير هذا من أنواع أخذ الحقوق بغير وجه حق .(٢)

لذا كان الناس بحاجة إلى العدل في كل صوره وأشكاله ، العدل بالقول ، والعدل بالفعل، فوضع الله ﷻ –وهو العليم بشؤون البشر– نظامًا وتشريعًا

---

(١) رواه الإمام البخاري–رحمه الله– في صحيحه ،من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ ، برقم / ٣٤٧٥ ، ٤/١٧٥ .

(٢) انظر: نظم الأمن والعدالة في الإسلام ، د. محمد الحسيني عبد العزيز ، ص١٢٣ .

يأمر ويدعو الناس إلى العدل وينهاهم عن الظلم ؛لينظم أحوالهم، ويحفظ حقوقهم، ويجمع كلمتهم، و ينشر الأمن والاستقرار فيما بينهم .

كما جعل الله ﷻ من أساسيات دعوة نبيه ﷺ إقامة العدل في الحكم بين الناس، وقد أمره تعالى بهذا في قوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [١]

'ففي الآية يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالعدل بين الناس جميعًا ، مهما اختلفت دياناتهم وعشائرهم، قال الشيخ السعدي –رحمه الله– في تفسيره للآية : (أي: في الحكم فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم، يا أهل الكتاب من العدل بينكم، ومن العدل في الحكم، بين أهل الأقوال المختلفة، من أهل الكتاب وغيرهم، أن يقبل ما معهم من الحق، ويرد ما معهم من الباطل)[٢]

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله–: (فإن الله سبحانه أرسل رسله، وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات ، فإذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان، فثم شرع الله، ودينه، والله سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخص طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء ثم ينفي ما هو أظهر منها، وأقوى دلالة وأبين أمارة فلا يجعله منها. ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها، بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط فأي طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له) [٣]

إن اقتران الإحسان بالعدل له من الدلالات العظيمة التي يجب أن يفهمها المسلم ، فتظهر هذه الدلالات واضحة جلية في كثير من الآيات التي أمر الله بها بالإحسان إلى الناس، وفي مقدمتهم الوالدين والأقربون واليتامى والجار

([١]) سورة الشورى ، جزء من الآية (١٥) .

([٢]) تيسير الكريم الرحمن ، ص٧٥٥ .

([٣]) الطرق الحكمية ، ص ١٣.

،وفي كل شيء كما ورد في الحديث :" إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ "[١] .

كما رغب ﷻ بالإحسان في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٢] فكل ما يحبه الله تعالى يجب أن نعمله ونحرص عليه ، لذا نجد الإسلام يوصي كل مسلم بالإحسان وذلك من خلال النصوص الشرعية .

([١]) رواه الإمام مسلم –رحمه الله –في صحيحه ، كتاب الصيد والذبائح ، باب : الأمر بإحسان الذبح والقتل ، برقم / ١٩٥٥ ،٣/ ٥٤٨ .

([٢]) سورة آل عمران آية ١٣٤

المبحث الأول:

الدعوة إلى العدل والإحسان في الكتاب والسنة

إن الدعوة إلى العدل والأمر به أوجبه الله تعالى من فوق سبع سموات قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾.[١]

وسأبين في هذا المبحث الذي يُعد صلب البحث وموضوعه، حرص الإسلام على الدعوة إلى العدل والإحسان وإقامتهما بين الناس ، ودعوتهم بتطبيقهما في جميع مجالات حياتهم المختلفة ، وذلك من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : الدعوة إلى العدل في الكتاب والسنة

أولًا : الدعوة إلى العدل في القرآن الكريم :

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمر بالعدل وتحث عليه ، وتنهى عن الظلم وتحذر منه، فمن أجمع الآيات التي تأمر وتدعو إلى العدل : قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.[٢] وهذه الآية من أمهات الآيات ،قال قتادة ﷺ :(ليس من خُلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به في هذه الآية ،وما من خُلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدح فيه في هذه الآية).[٣]

([١]) سورة النساء، الآية(٥٨) .

([٢]) سورة النحل ـ الآية (٩٠) .

([٣]) تفسير القرآن العظيم ، الحافظ ابن كثير -رحمه الله- ، ٥٩٦/٤ .

و قرأ الحسن البصري –رحمه الله– الآية ثم وقف وقال : (إنَّ الله جمع لكم الخير كلَّه والشَّر كلَّه في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحْسَان شيئًا مِن طاعة الله عزَّ وجلَّ إلَّا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي مِن معصية الله شيئًا إلَّا جَمَعه) حلية الأولياء لأبي نعيم

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾.[١] الآية اعتبرها العلماء من أمهات الأحكام ؛ حيث تضمنت جميع الدين والشرع .[٢]

فأداء الأمانة وإعطاء الحقوق لأصحابها هو العدل الذي أمر الله به ، وإنكارها وعدم تأديتها هو الظلم الذي نهانا الله عنه ، ومن الأمانة الحكم بما أنزل الله تعالى والعدل بين الناس وعدم ظلمهم .

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾.[٣]

قال ابن عباس ﷺ (كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت له).[٤]

([١])سورة النساء ، الآية (٥٧) .

([٢]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، الإمام القرطبي –رحمه الله– ٢٥٥/٥ .

([٣]) سورة النساء ، الآية(١٣٥) .

([٤]) معالم التنزيل ، للإمام البغوي –رحمه الله– ٢٠٨/١ .

وقوله تعالى : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِير ﴾ [١]

قال قتادة –رحمه الله– في قوله ﴿ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ قال :(أمر نبي الله ﷺ أن يعدل ، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه، والعدل ميزان الله في الأرض ، به يأخذ للمظلوم من الظالم ، وللضعيف من الشديد ، وبالعدل يصدق الله الصادق ، ويكذب الكاذب ، وبالعدل يرد المعتدي ويوبخه .) [٢]

وقوله تعالى :﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [٣]

قال الإمام الطبري –رحمه الله– في تفسيره : ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ وبالحق يعطون ويأخذون ، وينصفون من أنفسهم فلا يجورون .

وقوله تعالى: {وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ }([٤]) قوله تعالى : { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ

([١]) سورة الشورى ، الآية (١٥)

([٢]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الإمام الطبري –رحمه الله– ٥١٧/٢١ .

([٣]) سورة الأعراف ، الآية (١٥٩) .

([٤]) سورة النحل ، الآية (٧٦) .

وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ }[١] وقوله تعالى : {وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ }[٢] {وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ }[٣] فهذه الآيات جميعها تدعو و تأمر وتحث على العدل والإحسان إما ظاهرًا بألفاظ العدل ، أو معنىً بما تضمنته الآيات وذلك في كل شأن من شؤون الحياة .

كما جاء النهي والتحذير عن الظلم وهو نقيض العدل في آيات كثيرة منها :

قوله تعالى : {إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ }[٤]

{ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ }[٥]

فعندما يظلمون أنفسهم بكفرهم وشركهم بالله تعالى، فإن الله تعالى يعاقبهم جزاء ما اقترفته أيديهم ،وقد نزه الله تعالى نفسه عن الظلم فقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾ [٦] وقوله تعالى : {مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٤٥) .

(٢) سورة النحل ، الآية (١٢٦) .

(٣) سورة الشورى، الآية (٤٠) .

(٤) سورة الشورى ، الآية (٤٢) .

(٥) سورة هود ، الآية (١٠٢) .

(٦) سورة غافر ، الآية (٣١) .

بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ}[١] وهكذا حذر الله تعالى من الظلم ، وهو نذير شؤم للأمة الظالمة ، فقد يأخذهم الله ﷻ على حين غفلة منهم ،ويُصيبهم بعذاب من عنده نتيجة ما اقترفتها أيديهم من ظلمهم أنفسهم أو ظلمهم للناس .

ثانيًا: الدعوة إلى العدل من السنة النبوية الشريفة :

وردت أحاديث كثيرة في الأمر بالعدل، والدعوة إليه ، والترغيب فيه، والأجر العظيم لمن التزمه وطبقه ومن هذه الأحاديث الشريفة :

حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَن يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا " [٢].

قال الإمام النووي –رحمه الله– (والمقسطون هم العادلون) [٣].

في ها الحديث النبوي الشريف يتبين عِظم الأجر والمنزلة الرفيعة لمن يعدل في حكمه بين الناس ، وفي أهله ، وكل ما وُلّي عليه .

١– حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: " بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ , فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا , وَمَنْشَطِنَا وَمَكَارِهِنَا ، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْعَدْلِ أَيْنَ كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ " [٤] .

---

(١) سورة ق ، الآية (٢٩) .

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه ،كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، برقم/١٨٢٧ ،٣/ ٤٥٨.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ٢١١/١٢.

(٤) رواه الإمام النسائي–رحمه الله– في سننه ، كتاب البيعة ، البيعة على القول بالعدل ،برقم / ٤١٥٣، ١٣٩/٧ ، وصححه الألباني–رحمه الله– في صحيح وضعيف النسائي ، ٢٢٥/٩ .

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ تَعَالَى فِي ظلِّه يَومَ لاَ ظِلَّ إلاّ ظِلُّه: إمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِد، وَرَجُلاَن تحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرّقَا عَلَيْه، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَة ذَات مَنْصِب وَجَمَال، فَقَالَ: إنّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَة فَأَخْفَاهَا، حَتّى لاَ تَعْلَم شِمَاله مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُه، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاه " (١) .

قال الإمام ابن رجب -رحمه الله- : (وأول هذه السبعة: الإمام العادل: وهو أقرب الناس من الله يوم القيامة، وهو على منبر من نور على يمين الرحمن، وذلك جزاء لمخالفته الهوى، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مع قدرته على بلوغ غرضه من ذلك؛ فإنَّ الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، وهذا أنفع الخلق لعباد الله، فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها، وقد رُوي أنَّه ظلٌّ الله في الأرض؛ لأنَّ الخلق كلَّهم يستظلون بظلِّه، فإذا عدل فيهم أظلَّه الله في ظلِّه) (٢).

وهذا قول نفيس من الإمام ابن رجب -رحمه الله - فالجزاء من جنس العمل ، فعندما يعدل الحاكم بين الناس ، ويقيم العدل وفق ما شرعه الله تعالى، فيُظلّ الناس بعدله فإن الله تعالى سيجعله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله .

---

(١) رواه الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين ، برقم / ١٤٢٣ ، ٢/١١ ، والإمام مسلم-رحمه الله- في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ، برقم/ ١٠٣١ ، ٢/٧١٥ .

(٢) فتح الباري ، ٦/٤٦ .

المطلب الثاني: الدعوة إلى الإحسان في الكتاب والسنة

أولًا : الدعوة إلى الإحسان في القرآن الكريم :

حث الله ﷻ على الإحسان في أكثر من موضع في كتابه الكريم ، فقال ﷻ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.[1]

كما أمر الله تعالى بالإحسان ، وجعله سبيلًا إلى محبته فقال تعالى :﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ۛ وَأَحۡسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[2]

وقوله تعالى : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[3] **قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– (أي كلموهم طيبًا، ولينوا لهم جانبًا)[4] ، فطيب الكلام واللين والرفق في القول من الإحسان إلى الناس .**

وقد رغّب الله تعالى بالإحسان ووعد المحسنين بالأجر العظيم فقال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[5]

وسيأتي الحديث بالتفصيل في ثنايا هذا البحث .

---

[1] سورة النحل ـ الآية (٩٠) .

[2] سورة البقرة ، الاية (١٩٥)

[3] سورة البقرة ، جزء من الآية (٨٣) .

[4] تفسير القرآن العظيم ، ١/٢٠٩ .

[5] سورة يونس ، الاية (٢٦) .

ثانيًا : الدعوة إلى الإحسان في السنة النبوية :

وردت أحاديث كثيرة في الإحسان في العبادات و المعاملات ، وقد بين الرسول ﷺ للرجل الذي سأله عن الإحسان فقال : " الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " [١] وقال ﷺ :" إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ "[٢] ورغب رسول الله ﷺ في الإحسان فقال : " مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلاَمِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلاَمِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ" [٣]

وسأفصل القول في الأحاديث في المبحث الثالث .

المبحث الثالث : الدعوة إلى العدل والإحسان من خلال المجالات المختلفة

يُعد العدل والإحسان من أهم موضوعات الدعوة ، بل لا تستقيم الحياة بدونهما ، وفي مجالات عديدة ومتنوعة ومتفرعة، تدخل في جميع مناحي الحياة المختلفة وسأتحدث عن الدعوة إلى العدل والإحسان من خلال هذه المجالات وفق نصوص الوحيين :

المطلب الأول: الدعوة إلى العدل والإحسان في المجال العقدي والتعبدي:

---

(١) رواه الإمام البخاري –رحمه الله– في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله (إن الله عنده علم الساعة) ، برقم / ٤٧٧٧ ، ١٥١/٦.

(٢) رواه الإمام مسلم –رحمه الله –في صحيحه ، كتاب الصيد والذبائح ، باب : الأمر بإحسان الذبح والقتل ، برقم / ١٩٥٥ ،٣/ ٥٤٨ .

(٣) رواه الإمام البخاري –رحمه الله– في صحيحه ، كتاب :استتابة المرتدين والمعاندين ، باب : إثم من اشرك بالله ، برقم / ٦٩٢١ ،١٤/٩

إن تحقيق العدل والإحسان في المجال العقدي والتعبدي له أثر كبير في حياة الأمم ، لذا كان من الضرورة إيضاح الدعوة إلى العدل والإحسان في هذا المجال الذي يُعد قاعدة أساسية في صلاح جميع الأعمال .

فالعدل مع الله ﷻ أن توحده ولا تشرك به شيئًا ، وأن لا تتلبس بالظلم ، وهو الشرك ، وأن تقدر الله حق قدره ، فهذا أعظم العدل ، ويكون العدل مع الله ﷻ بعبادته وحده لا شريك له ،حيث إن الشرك من أعظم الظلم ؛كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[١] قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله في تفسيره : (أي : هو أعظم الظلم) [٢] . وحقيقة العدل مع الله تعالى : هو توحيده في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، وهذا ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ قال : هو: (شهادة أن لا إله إلا الله) [٣] .

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله– (منزلة الإحسان هي لب الإيمان وروحه وكماله ، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل) [٤] ، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله– (والعدل خلع الأنداد والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه) [٥] لذا فإن الله ﷻ أرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل الدعوة إلى توحيده وهذا أعظم العدل

([١]) سورة لقمان ، الآية : (١٣) .

([٢]) تفسير القرآن العظيم ، ٣٣٦/٦ .

([٣]) مرجع سابق ، ٥٩٥/٤ .

([٤]) مدارج السالكين ، ٤٢٩/٢ .

([٥]) فتح الباري ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ٤٨٠/١٠

مع الله ﷻ ، فدعوة الرسل جميعًا هي دعوة إلى التوحيد فكل نبي يقول لقومه﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾[١] .

والدعوة إلى التوحيد هي دعوة إلى العدل مع الله تعالى، روى الشيخان– رحمها الله–من حديث عبدالله ﷺ قال : لما نزلت﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا : أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ أَلَا تَسْمَعُون إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[٣] [٤]

مما سبق من آيات وأحاديث نستنتج بأن الدعوة إلى التوحيد هو في الحقيقة دعوة إلى العدل مع الله تعالى ، والنهي عن الظلم هو نهيٌ عن الشرك ، وبناءًا على هذا فيجب على الدعاة أن يحرصوا ويجتهدوا في الدعوة إلى التوحيد وتعليم الناس العقيدة الصحيحة التي تُبنى عليها أمور الشريعة ولا تصح الأعمال إلا بمعتقد سليم صحيح خالٍ من الشرك والبدع .

والدعوة إلى التوحيد هو دعوة إلى آداء حق الله تعالى ، وآداء الحق هو عين العدل ؛ وقد ورد في حديث معاذ بن جبل ﷺ قَالَ: قال النبي ﷺ " يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اَللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، قَالَ :اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ

([١]) سورة هود ، الآية (٨٤) .

([٢]) سورة الأنعام ، جزء من الآية :(٨٢) .

([٣]) سورة لقمان ، الآية : (١٣) .

([٤]) صحيح الإمام البخاري –رحمه الله– كتاب ا استتابة المرتدين، باب : إثم من اشرك بالله، برقم/ ٦٩١٨، ٩/١٣ ، ورواه الإمام مسلم–رحمه الله– في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب صدق الإيمان وإخلاصه ، برقم/١٢٤، ١/١١٤ .

يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟«، قَالَ :اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ " (١)

ومن حق الله ﷻ الدعوة إلى الإيمان والاعتقاد بأسمائه وصفاته الحسنى كما سمى بها نفسه ، ووصفه بها نبيه ﷺ من غير تحريف أو تعطيل أو تمثيل أو تكييف ، والتضرع والدعاء بها ، كما قال تعالى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى(: وذروا الذين يلحدون في أسمائه) قال : إلحاد الملحدين : أن دعوا " اللات في أسماء الله.
وقال ابن جريج ، عن مجاهد) : وذروا الذين يلحدون في أسمائه (قال : اشتقوا " اللات " من الله ، واشتقوا " العزى " من العزيز.
وقال قتادة : يلحدون يشركون . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الإلحاد : التكذيب . وأصل الإلحاد في كلام العرب : العدل عن القصد ، والميل والجور والانحراف ، ومنه اللحد في القبر ، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر. (٣)
فالأمر بالدعاء في الآية الكريمة هو دعوة إلى تعظيم أسماء الله وصفاته، والدعاء والتضرع لله بها ، (وكان إلحادهم في أسماء الله ، أنهم عدلوا عمّا هي عليه ، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم ، يقول تعالى مقرعا للمشركين في

---

(١) رواه الإمام البخاري –رحمه الله– في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ، ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى" برقم / ٧٣٧٣ ، ٩/١١٤.
(٢)سورة الأعراف ، الآية (١٨٠) .
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير سورة الأعراف آية ١٨٠ ص١٧٤

عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان ، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن ، عليه الصلاة و السلام) : أفرأيتم اللات (؟ وكانت " اللات " صخرة بيضاء منقوشة ، وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة ، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها ، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

قال ابن جرير : وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله تعالى ، فقالوا : اللات ، يعنون مؤنثة منه ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . وحكي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والربيع بن أنس : أنهم قرءوا " اللات " بتشديد التاء ، وفسروه بأنه كان رجلا يلت للحجيج في الجاهلية السويق ، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

قال ابن جرير : وكذا العزى من العزيز. وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة ، وهي بين مكة والطائف ، كانت قريش يعظمونها ، كما قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم " : – قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم " [1].

فالواجب الحرص على دعوة الناس إلى العدل في أسماء الله وصفاته ويكون ذلك بدعاء الله تعالى بها والتضرع وسؤال الحاجات بأسمائه وصفاته الحسنى.

وكذلك الدعوة إلى تعظيم و تبجيل أسماء الله الحسنى وصفاته العُليا من غير تكييف أو تمثيل أو تشبيه أو تعطيل﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [2]

([1]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير سورة النجم آية ١٩ ص٥٢٦

([2]) سورة الشورى ، جزء من الآية (١١) .

وفي مجال العبادات شرع الله الإحسان في أدائها وبينه الرسول ﷺ أعظم بيان ، وأبلغ عبارة ، وفي أجمل صورة كما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ عن الرجل الذي يسأل رسول الله ﷺ (..قَالَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ :الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[١]

٢- الدعوة إلى العدل مع الرسول ﷺ

حق الرسول ﷺ هو من لوازم حق الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[٢] فهذا أمر إلهي صريح بالطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ، وقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾.[٣]

وحقيقة العدل مع رسول الله ﷺ هي : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع ؛ ومنها محبته واتباعه ، ونشر سنته ﷺ والدفاع عنه، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [٤] فالشرط لا يتحقق إلاَّ بفعل المشروط ، فمحبة الله تعالى لا تتحقق إلا باتباع الرسول ﷺ كما ورد في الآية الكريمة ،ثم أتبع الله ﷻ الآية بالأمر بطاعة الرسول ﷺ ؛

---

(١) رواه الإمام البخاري – رحمه الله– في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، باب : إن الله عنده علم الساعة ، برقم / ٤٧٧٧، ١١٥/٦ .

(٢) سورة الحشر ، الآية (٧) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٨٠) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٣١) .

لما له من أهمية بالغة في إقامة شرع الله تعالى في أرضه ، فكل مسلم عليه الاهتمام بالسنة النبوية ، والإتباع والبعد عن الابتداع ، وعليه واجب الدعوة إلى العدل مع الرسول ﷺ ، فيدعو نفسه أولاً ثم أهل بيته وجيرانه وقراباته ومن حوله ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

إن العدل مع الرسول ﷺ ليست شعارات ترفع ، ولا مدائح تُقال ، ولا موالد تقام ، بل في اتباعه ﷺ ونشر سنته والذود عنه .

ثانيًا: مجال القضاء والحكم

أمر الله تعالى المؤمنين بطاعة لحاكم، والسمع والطاعة له بالمعروف، وعدم الخروج عليه ، والدعاء له لعموم الأدلة الواردة في ذلك ، وهذا من العدل في التعامل الحاكم .

قال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً }[١]

كما أوجب الشارع الحكيم على الحاكم أن يكون عادلًا كما سبق في الحديث " وإمام عادل" وما ذلك إلا للقيمة العليا التي يتميز بها العدل وتأثيره في النفس والأهل والمجتمع وحياة الناس؛ والمراد بالإمام العادل كما قال القاضي عياض –رحمه الله– : (كل من إليه نظر في شيء من أمور المسلمين من الولاة والحكام)[٢]

لذا فالحاكم عليه أن يستعين بأهل الصلاح والعدل ، سواء كانت ولايته ولاية خاصة أو عامة؛ والشريعة الإسلامية دعته إلى ذلك، كما ذكر ذلك شيخ

---

(١) سورة النساء ، الآية (٥٩) .

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، تحقيق :يحي إسماعيل ، ٣/ ٥٦٢ .

الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- بعد ذكره عموم الولايات وخصوصها، كولاية القضاء، وولاية الحرب، والحسبة، وولاية المال ، فقال: (وجميع هذه الولايات هي في الأصل ولاية شرعية ومناصب دينية، فأيُّ مَن عدل في ولاية من هذه الولايات فساسها بعلم وعدل، وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان فهو من الأبرار الصالحين، وأيُّ مَن ظلم وعمل فيها بجهل، فهو من الفجار الظالمين)([1])

وقال أيضاً مؤكداً على الاستعانة بأهل الصدق والعدل : (يجب على كلِّ ولي أمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل، وإذا تعذَّر ذلك استعان بالأمثل فالأمثل) ([2]) .

فالعدل بين الناس واجب شرعي ، والدعوة إليه مطلب حتمي لكل الناس ، فكل من له سلطة سواء كان قاضيًا، أو صاحب منصب، أو مسؤولًا أيّاً كان حجم هذه المسؤولية ، فعليه واجب العدل، وإعطاء كُلِّ ذي حقٍّ حقَّه، ليس هذا فقط بل أيضًا عليه الدعوة إلى العدل ؛ فيدعو من تحت يده إلى العدل بين الناس ، وعدم ظلمهم ،كما قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾([3]) ففي هذه الآية الكريمة أمر من الله تعالى ودعوة إلى العدل بين الناس .

وفي الحديث القدسي : عَن أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ :" يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا

([1]) مجموع الفتاوى ، ٦٨/٢٨ .

([2]) مرجع سابق ، ٦٧/٢٨ .

([3]) سورة النساء ، الآية (٥٨) .

فَلَا تَظَالَمُوا ... يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"[١]
وفي هذا الحديث القدسي نهي عن الظلم ؛ فالله ﷻ حرم الظلم على نفسه ونفاه نفيًا مطلقًا كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٣] وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾[٤]

والمتأمل في التأريخ يجد بأن العدل له شأنٌ لدى العلماء ،حيث جُعل أساساً للملك والحُكم والسياسة ، وقد ذكر ابن خلدون –رحمه الله– بأن العدل أساس الملك؛ ولا سبيل لعمارة الأرض إلا بالعدل ، وبه قوام العالم ، وما ذلك إلا لأهمية العدل وتأثيره على الفرد والمجتمع وحياة الناس، وله قيمة في منهج الحكام ،وفي إدارة الدول وقضاء مصالح الناس وهذا هو جوهر السياسة .[٥]

كما اهتمت الشريعة الإسلامية بجانب القضاء ، وأعطت القاضي منزلة رفيعة ، وأجر عظيم إن تحرى العدل وقضى به ، وقد اشترط الفقهاء شروطًا لتعيين القضاة ، وصفات محددة ،قال علي ﷺ (لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْقَاضِي قَاضِيًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ؛ عَفِيفٌ، حَلِيمٌ، عَالِمٌ بِمَا كَانَ قَبْلَهُ، يَسْتَشِيرُ ذَوِي

---

(١) رواه الإمام مسلم –رحمه الله– في صحيحه ، كتاب البر الصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، برقم / ٢٥٧٧ ، ٤/ ٤٦٧٤.
(٢) سورة الكهف ، جزء من الآية (٤٩) .
(٣) سورة النساء ، الآية (٤٠) .
(٤) سورة الإسراء ، جزء من الآية (٧١) .
(٥) انظر مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : خليل شحادة ، ٥١/١ .

الْأَلْبَابِ، لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ﷺ، قَالَ: يَنْبَغِي لِلْقَاضِي أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ سَبْعُ خِلَالٍ، إنْ فَاتَتْهُ وَاحِدَةٌ كَانَتْ فِيهِ وَصْمَةٌ: الْعَقْلُ، وَالْفِقْهُ، وَالْوَرَعُ، وَالنَّزَاهَةُ، وَالصَّرَامَةُ، وَالْعِلْمُ بِالسُّنَنِ، وَالْحِكَم)[1].

ورغم هذه المنزلة العظيمة للقضاء إلا أن فيه خطر كبير، وإثم عظيم لمن يحيد عنه ، فالناظر في سيرة السلف الصالح ﷺ يجد أنهم يمتنعون عنه ، ويخافون من خطره .

ففي الحديث " الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ " [2]

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يَكُونُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ هَذِهِ الأُمَّةِ ، قَلَّتْ أَمْ كَثُرَتْ ، فَلا يَعْدِلُ فِيهِمْ ، إلا كَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّار" [3]

فهذه النصوص فيها تحذير ووعيد شديد لمن يحيد عن العدل ، ويظلم الناس ، وترغيب لمن يعدل ويتحرى العدل ، وجاءت الشريعة في الدعوة إلى العدل في القضاء بين الناس ، وإعطاء كل ذي حق حقه والتحذير من الظلم وما يترتب عليه من الوعيد الشديد .

---

(1) المغني ، ابن قدامة -رحمه الله- ١٠/٤٠ .

(2) رواه الإمام أبو داود في سننه ،كتاب الأقضية ، باب في القاضي يخطئ ، برقم ٣٥٧٣،٣/٢٩٩ ، قال الحاكم في المستدرك : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وله شاهد بإسناد صحيح على شرط مسلم، ٤/١٠١ ، وصححه الألباني في صحيح وضيف سنن أبي داود ، ص٢ .

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ٤/١٠٢ .

ثالثًا :مجال الدعوة إلى العدل والإحسان مع غير المسلمين:

أمر الله ﷻ المؤمنين بأن يعدلوا حتى مع المخالفين في العقيدة مهما بلغ الكره غايته، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [1] .

فمهما أبغض المؤمن الكافر فيلزمه أن يتجرد من هواه، وأن يعدل معه ولا يلتفت إلى هذا البغض ، ويلتزم بقوله تعالى: ﴿ ٱعۡدِلُوا هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾

وفي السنة النبوية نماذج من عدل الرسول ﷺ مع غير المسلمين من اليهود وغيرهم ، ففي الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ ، قال الأشعث بن قيس : فِيَّ وَاللهِ كَانَ ذَلِكَ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النبي ﷺ فقال لي رسُولَ الله لَكَ بَيِّنَةٌ ؟ قُلْتُ: لا. فَقَالَ لِلْيَهُودِي احْلِفْ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا يَحْلِفَ وَيَذْهَبَ بِمَالِي. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [2] ، فهنا يتجلى عدل الرسول ﷺ فأحدهما مسلم والآخر يهودي ، وبالرغم من كذب اليهود ، وأنهم لا يتورعون عن الكذب ، بل كذبوا على الله

---

(1) سورة المائدة ، الآية (٨) .

(2) رواه الإمام البخاري–رحمه الله –في صحيحه ،كتاب الخصومات ، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، برقم / ٢٤١٦، ٣/١٢١، والإمام مسلم –رحمه الله– في صحيحه ،كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ،برقم / ١٣٨ ، ١/١٢٢ .

ﷺ كما أخبر الله تعالى بهذا في قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [1]

وفي نموذج آخر من عدل الرسول ﷺ ما رواه الإمام البخاري -رحمه الله- من حديث سهل بن أبي حَثْمَةَ ﷺأَنَّ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ انْطَلَقُوا إِلَى خيبر، فَتَفَرَّقُوا فِيهَا، وَوَجَدُوا أَحَدَهُمْ قَتِيلاً، وَقَالُوا لِلَّذِي وُجِدَ فِيهِمْ: قَدْ قَتَلْتُمْ صَاحِبَنَا. قَالُوا: مَا قَتَلْنَا وَلا عَلِمْنَا قَاتِلًا. فَانْطَلَقُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، انْطَلَقْنَا إِلَى خَيْبَرَ فَوَجَدْنَا أَحَدَنَا قَتِيلاً. فَقَالَ: الْكُبْرَ الْكُبْرَ، فَقَالَ لَهُمْ :تَأْتُونَ بِالْبَيِّنَةِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ ؟ قَالُوا: مَا لَنَا بَيِّنَةٌ قَالَ: فَيَحْلِفُونَ .قَالُوا: لا نَرْضَى بِأَيْمَانِ الْيَهُودِ. فَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُبْطِلَ دَمَهُ، فَوَدَاهُ مِائَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ " [2]

في هذا الحديث الشريف تتجلى عدالة الرسول ﷺ في الحكم؛ عندما أتى نفر من المسلمين يتهمون اليهود بقتل صاحبهم حيث وجدوه مقتولًا في خيبر ولم يكن لديهم بينة ، فأنكر اليهود ، وأمر الرسول ﷺ بأن يحلفوا ، فاعترض المسلمون لعلمهم بكذب اليهود؛ وأنهم لا يتورعون عن الحلف الكذب ، فلم يحكم الرسول ﷺ عليهم لعدم وجود الدليل والبينة التي تدينهم ، ودفع ديته الرسول ﷺ ليرضى المسلمون ، ويأمن من مكر وتعدي اليهود عليهم .

(والعدل لا يقتصر على المسلمين ؛ بل يشمل كافة من خلق الله من عباده المسلمين وغيرهم ؛ لأن العدل شامل وكامل لا يتجزأ بل يجمع البشر كافة مسلمهم وكافرهم من أي جنس ولون، فالجميع أبناء آدم عليه السلام). [3]

---

(1) سورة آل عمران ، جزء من الآية (٧٥) .

(2) صحيح الإمام البخاري-رحمه الله- كتاب الديات ، باب القسامة ، برقم / ٦٨٩٨، ٩/٩ .

(3) نظم الأمن والعدالة في الإسلام ، د. محمد الحسيني عبد العزيز ، ص١٢٣ ، وأنظر الإسلام عقيدة وشريعة ، الإمام محمود شلتوت دار الشروق ، ط١٨ ، ١٤٢١هـ ص٤٤٩

فلا بد من التأكيد والدعوة إلى العدل مع غير المسلمين ، وأداء مالهم من حقوق ، وعدم بخسهم .

وقد حرص الصحابة ﷺ على التزام العدل مع غيرهم كما ورد " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى خَيْبَرَ فَيَخْرُصُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَهُودَ قَالَ : فَجَمَعُوا حُلِيًّا مِنْ حُلِيِّ نِسَائِهِمْ فَقَالُوا : هَذَا لَكَ وَخَفِّفْ عَنَّا وَتَجَاوَزْ فِي الْقَسْمِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : " يَا مَعْشَرَ يَهُودَ وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَمِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ وَمَا ذَلِكَ بِحَامِلِي عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ وَأَمَّا الَّذِي عَرَضْتُمْ عَلَيَّ مِنَ الرِّشْوَةِ فَإِنَّهَا سُحْتٌ وَإِنَّا لا نَأْكُلُهَا قَالُوا : بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ). [١]

رابعًا : مجال الدعوة إلى العدل والإحسان في الحرب والقتال :

أمر الله تعالى ودعا إلى العدل والقسط عند الصلح بين الطوائف التي تتقاتل من المؤمنين ، فقال تعالى: { وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ }[٢]

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: يقول تعالى آمرا بالإصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم على بعض : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فسماهم مؤمنين مع الاقتتال . وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه

([١]) رواه الإمام أبو داود في سننه ، كتاب البيوع ، باب في المساقاة ، برقم /٣٤١٠ ، ٢٦٣/٣ .والإمام مالك في الموطأ ، كتاب المساقاة ، باب ما جاء في المساقاة ، ٢٥٩٥/ ١٦/٤ . قال الألباني : إسناده صحيح ، انظر : غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، ص٢٦٤ .

([٢]) سورة الحجرات ، الآية (٩) .

لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت ، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم . وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن ، عن أبي بكرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن علي ، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول : " إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. " فكان كما قال ، صلوات الله وسلامه عليه ، أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق ، بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة .

وقوله : (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) أي : حتى ترجع إلى أمر الله وتسمع للحق وتطيعه ، كما ثبت في الصحيح عن أنس : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " . قلت : يا رسول الله ، هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ قال : " تمنعه من الظلم ، فذاك نصرك إياه " .

وقوله : (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) أي : اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض ، بالقسط ، وهو العدل ، (إن الله يحب المقسطين) ورواه النسائي عن محمد بن المثنى ، عن عبد الأعلى ، به . وهذا إسناده جيد قوي ، رجاله على شرط الصحيح .

وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن أوس ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش ، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا " .ورواه مسلم والنسائي ، من حديث سفيان بن عيينة ، به . (أي : اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل ، إن الله يحب المقسطين) [١]

([١]) تفسير القرآن العظيم ، ٧/٣٥٠.

والدعوة إلى العدل في الصلح بين الطوائف المتقاتلة مما أوجبته الشريعة الإسلامية ، كما في قوله تعالى ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ﴾؛ من أجل حقن الدماء ، ولتعيش الأمم بسلام وأمان تحت مظلة العدالة .

خامسًا : الدعوة إلى العدل والإحسان في المجال الاجتماعي :

النظام الاجتماعي في الإسلام، نظام ارتكز على تشريع سماوي ،وهذا التشريع قائم على العدل والإحسان ، فالإسلام دين العدالة ودين إحسان وسلام في جميع مناحي الحياة الخاصة والعامة .

وقد أمر الله تعالى بالعدل مع النفس والوالدين وبين الأهل والأقارب، ومع الزوجة ومع الأولاد في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[١]

ففي الآية الكريمة يدعو ويأمر الله تعالى المؤمنين بالعدل مع النفس ومع الوالدين والأقربين ، قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– : (يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط ، أي بالعدل ، فلا يعدلوا عنه يمينًا ولا شمالًا ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عنه صارف ، وأن يكونوا متعاونين متساعدين، متعاضدين ،متناصرين فيه وقوله ﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ أي : ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله ، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقًا ، خالية

---

(١) سورة النساء ، الآية (١٣٥) .

من التحريف والتبديل والكتمان) [١] وقد بينت هذه الآية الكريمة بأن الدعوة إلى العدل تكون بعدة أمور وهي :

١/ الدعوة إلى العدل والإحسان مع النفس

وبعد أن أمر الله تعالى المؤمنين بإقامة العدل أعقبه بقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– : (أي : اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك، وإذا سُئلت عن الأمر فقل الحق فيه ، وإن كان مضرة عليك ، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجًا ومخرجًا من كل أمر يضيق عليه). [٢]

وقد نهى الله تعالى أن يظلم الإنسان نفسه ، وظلم النفس إنما هو نتيجة لتعدي لحدود الله ﷻ كما قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ ﴾ [٣]

ومما سبق من الآيات يتضح دعوة القرآن إلى العدل مع النفس وتهذيبها، ومنعها من التعدي على حدود الله ، وهذه الدعوة فيها إحسان وتزكية لنفس المؤمن وتطهيرها من كل ما يدنسها .

٢–الدعوة إلى العدل والإحسان مع الوالدين والأقربين

أمر الله تعالى المؤمنين بالعدل والإحسان مع الوالدين والأقربين ، بالإحسان إليهما، وطاعتهما بالمعروف وخفض الجناح لهما ، ولين الكلام معهما ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ٣٨٣/٢ .

(٢) مرجع سابق ، ٣٨٣/٢ .

(٣) سورة الطلاق ، جزء من الآية (١) .

والنفقة عليهما ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال : " قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ أُمَّكَ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أُمَّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ أُمَّكَ ، قالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ أَبُوكَ " [٢]

وكذلك العدل مع الأقارب يكون بصلتهم والسؤال عنهم ، ومساعدة المحتاج منهم ، وتهنئتهم بأفراحهم ، وتعزيتهم بمصابهم وهكذا ، وقد أمر الله تعالى ودعا الناس إلى الإحسان إلى الأقارب وذوي الأرحام وقرنها بالعدل كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٣] ، فالدعوة إلى العدل مع الأقارب لا تقتصر فقط على

([١]) سورة الإسراء ، الآيتان (٢٣-٢٤) .

([٢]) رواه الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه ،كتاب الأدب ، باب :من أحق الناس بحسن الصحبة، برقم / ٥٩٧١ ، ٢/٨

([٣]) سورة النحل ، الآية (٩٠) .

مساعدتهم وصلتهم فقط ، بل أيضًا دعوتهم إلى الله والتناصح معهم فهذا حق من حقوقهم .

ومن الأصناف التي وردت في الآية بضرورة العدل معهم الأغنياء و الفقراء، كما قال تعالى: ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ ،

هذه ما تضمنته الآية الكريمة من أصناف ، وهناك نصوص من السنة تحث على العدل مع أصناف آخرين مثل :

٣- الدعوة إلى العدل بين الأولاد والإحسان إليهم :

أتت الشريعة الإسلامية بما يحقق إشاعة المحبة والوفاق بين أفراد الأسرة ؛ فلا يُفضل أحد من أفراد الأسرة دون الآخر، كما قال ﷺ " فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " [١] ، فهذا الحديث الشريف فيه دعوة إلى العدل بين الأولاد ؛ ويكون العدل بينهم في العطية ، والهبة، والوقف، والتسوية بينهم حتى في القُبَل، فعن إبراهيم النخعي-رحمه الله- قال: (كانوا يستحبون أن يعدل الرجل بين ولده حتى في القُبَل).[٢]

ومن عظم العدل بين الأولاد فإن الرسول ﷺ أمر لمن أعطى ولده عطية دون سائر أولاده أن يُرجعها، ففي الحديث عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّهُ قَالَ :إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ :إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ ﷺ " أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : ارْجِعْهُ " [٣] وفي رواية : "

([١]) رواه الإمام البخاري في صحيحه ، من حديث النعمان بن بشير ﷺكتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب الإشهاد في الهبة، برقم/ ٢٥٨٧ ، ١٥٨/٣ .

([٢]) المصنف لابن أبي شيبة ، تحقيق : محمد عوامة ،ج٢٠٢/١٦ .

([٣]) رواه الإمام مسلم-رحمه الله- كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، برقم/ ١٦٢٣، ٢٤١/٣.

لا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْر " وفي هذا الحديث : أنه ينبغي أن يسوي بين أولاده في الهبة ، ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يُفضل. [١]

ودعوة الرسول ﷺ الرجل إلى العدل بين أولاده ، وحرصه على ذلك ، والتغليظ على الرجل ورفض الشهادة ؛كل ذلك من أجل إشاعة روح المحبة والألفة بين الأولاد ، وتزكية نفوسهم من الحقد والحسد والكراهية .

ومن خلال ما تقدم ؛ تبين لنا أهمية دعوة الآباء والأمهات إلى العدل بين أولادهم وفق ما جاءت به الشريعة السمحة .

٤-الدعوة إلى العدل والإحسان مع الزوجة أو بين الزوجات:

العدل والإحسان مع الزوجة أمر أوجبته الشريعة ، ودعت إليه، وذلك بأن يعامل الزوج زوجته بالعدل ؛ في النفقة وفي السكنى وفي المبيت، وحذر من الميل إن كنَّ أكثر من واحدة ، كما قال تعالى:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾[٢] .

أما إذا كان له ميل قلبيٌّ فقط إلى إحداهن، فهذا لا يدخل في عدم العدل، قال تعالى:﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [٣] .

([١]) انظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، ١١/٦٦.

([٢]) سورة النساء الآية (٣) .

([٣]) سورة النساء ، الآية (١٢٩) .

قال ابن بطال-رحمه الله- في قوله:﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي: لن تطيقوا أيها الرجال أن تسووا بين نسائكم في حبهنَّ بقلوبكم حتى تعدلوا بينهنَّ في ذلك؛ لأنَّ ذلك مما لا تملكونه وَلَوْ حَرَصْتُمْ يعنى ولو حرصتم في تسويتكم بينهن في ذلك. قال ابن عباس ﷺ: لا تستطيع أن تعدل بالشهوة فيما بينهنَّ ولو حرصت. قال ابن المنذر: ودلت هذه الآية أن التسوية بينهنَّ في المحبة غير واجبة) [١] .

وفي حديث أم المؤمنين عائشة ﷺا قالت : " كان النبي ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : اللَّهُم هَذَا قَسْمِي فِيْمَا أَمْلِكَ فَلا تَلُمْنِيْ فِيْمَا تَمْلك وَلاَ أَمْلك " [٢] ومن هنا يتضح بأن دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى العدل بين الزوجات إنما في الأمور التي يستطيع أن يعدل بها الرجل مثل النفقة والأمور المادية ، وهذا من يسر الإسلام في رفع الحرج عن المسلم ؛إذ لم يُكلّف بأمر لا طاقة له به ، فالقلب لا يملكه صاحبه ، والحُب لا يستطيع أن يتحكم به صاحبه ، وهو مما لا يطيقه المرء، فدل ذلك على عدم المؤآخذة عليه كما قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [٣]وقوله ﷻ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [٤]

([١]) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٣٣٦/٧ .

([٢]) رواه أبو داود ، كتاب النكاح ، باب في القسم بين النساء ،برقم ٢١٣٤ ، ٢٤٢/٢ ،والترمذي ، أبواب النكاح ، باب ما جاء في في التسوية بين الضرائر ، برقم /١١٤٠ ، ٤٣٨/٣ ، قال المنذري : رواه ابن حبان في صحيحه وقال الترمذي روي مرسلًا وهو أصح ، انظر : الترغيب والترهيب ، ٤٠/٣ .

([٣]) سورة البقرة ،جزء من الاية (٢٨٦) .

([٤]) سورة البقرة ،جزء من الاية (٢٨٦) .

كما أتت السنة النبوية بالتحذير من الظلم وعدم العدل بين الزوجات ، وقد حذر الرسول ﷺ من الميل إلى إحدى الزوجات وإعطائها دون الأخرى فيما يقدر عليه ، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ مَعَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ " (١) فالجزاء من جنس العمل ، فعندما يميل الرجل إلى إحدى زوجاته في النفقه، أو القسمة في الليالي ؛ فإن الله ﷻ يعاقبه بأن يأتي يوم القيامة وشقه مائل ، وهذه عقوبة عظيمة ،فيجب على الزوج أن يعدل بين زوجاته ، ويدعو غيره إلى العدل بين الزوجات ، كذلك الزوجة عليها واجب دعوة زوجها إلى العدل إذا أعطاها أو قسم لها دون غيرها من زوجاته ، وأن لا ترضى بهذا ، وأن تدعوه أيضًا إلى العدل معها في حال ظلمها ولم يقسم لها مثل باقي زوجاته؛ لتستقيم الأسرة ، وتنشأ بينهم المودة والرحمة .

٥- الدعوة إلى العدل والإحسان مع الخدم : دعا الإسلام إلى العدل مع الخدم ، وعدم ظلمهم وبخس حقوقهم ، وإعطائهم أجورهم بدون مماطلة ، والإحسان إليهم ، فقد وصى الرسول ﷺ بهم ، حيث ورد في الحديث من رواية أبي ذر ﷺ"إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ (٢) ،جَعَلَهُم الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَه ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمّا يَأْكُل ، وَيُلْبِسْهُ ممّا يَلْبَسْ " (٣)

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ، ١٦/١٠٧ ، قال ابن الملقن :حديث صحيح ، انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث ، ٨/٣٧ .

(٢) خولكم : هم الخدم ، سموا بذلك لأنهم يتخولون الأمور أي : يصلحونها . انظر : فتح الباري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- ، ٥/٢٠٧.

(٣) متفق عليه ، رواه الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه ، كتاب العتق ، باب قول النبي ﷺ العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون ، برقم/ ٢٥٤٥، ٣/١٤٩، والإمام مسلم- رحمه الله- في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب إطعام المملوك مما يأكل برقم / ١٦٦١، ٣/ ٢٨٢ .

في الحديث توجيه نبوي كريم يتضمن الرأفة والرحمة والإحسان والعدل مع الخدم ، فليطعمه مما يأكل ولا يُعطِه طعام رديء ، وكذلك يلبسه مما يلبس من الثياب الجيدة .

والدعوة إلى العدل مع الخدم أمر ضروري في هذا الزمن وفي كل زمن ، حيث وجد من يبخس حقوقهم ، ولم يعطهم أجورهم ، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " قَالَ اللهُ : ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ " [1] والخادم بمثابة أجير ، ومن يكن الله خصمه يوم القيامة فقد خاب وخسر ، وهذه دعوة إلى العدل مع الخدم بإعطائهم أجورهم ، وعدم بخسها ، أو المماطلة بتسليمها ، ومن العدل مع الخدم كذلك عدم التكبر عليهم وعدم احتقارهم ، وعدم التعدي عليهم بالضرب ، أو التعذيب فقد اضطرتهم الحياة ،فتركوا أهلهم وأبناءهم وذهبوا للعمل ، فلا بد من رحمتهم والتلطف معهم .

وكذلك من العدل مع الخدم دعوتهم إلى الإسلام إن كانوا لا يدينون به ؛ والدعوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتكون بالقدوة الصالحة ، والمعاملة الحسنة .

٦- الدعوة إلى العدل والإحسان مع الجار

حث الإسلام على حسن الجوار ، وأمر الله تعالى بالإحسان إلى الجار فقال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

---

[1] رواه الإمام البخاري- رحمه الله - في صحيحه، كتاب الإجارة ، باب إثم من منع أجر الأجير، برقم /٢٢٧٠، ٣/٩٠.

وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾[١]

كما ورد في الحديث الوصاية في الجار ، فعن أم المؤمنين عائشة ﵂ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُه "[٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ" [٣]

وغيرها من الأحاديث الكثيرة (ولقد جاءت السنة النبوية المطهرة ببيان هذه الحقوق بيانًا شافيًا ، وبتفصيلها تفصيلًا وافيًا ، مما حدا كثيرًا من العلماء والمحدثين أن يُضمّنوا حق الجار في أبواب الأدب ، أو أبواب البر والصلة ، بل أوردوه في شعب الإيمان ، بل أفردوه في مصنفات)[٤] وهذا من عِظم حق الجار .

وتكون الدعوة إلى العدل مع الجار بالحث على عيادته عند مرضه ، ومواساته ، وتلبية دعوته ، ورد الغيبة عنه ، وإقراضه للمال عند حاجته ، وإن كان غير مسلم فالعدل معه دعوته إلى الإسلام ، والحرص على هدايته ، وحسن التعامل معه ، والصبر على أذاه ، إلى غير ذلك من الأعمال الحسنة تجاه الجار .

(واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط ، بل احتمال الأذى والرفق ، وابتداء الخير ، وأن يبدأ جاره بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ويعوده في

---

(١) سورة النساء ، الآية (٣٦) .

(٢) رواه الإمام البخاري –رحمه الله– ، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار ، برقم ٥٦٦٨ ، ٤٥٥/١٠ .

(٣) رواه الإمام مسلم–رحمه الله ، كتاب الإيمان ، باب بيان تحريم إيذاء الجار ،برقم /٧٣ ، ٦٨/١ .

(٤) حقوق الجار في صحيح السنة والآثار ، علي حسن عبد الحميد، ص٦ .

المرض ، ويعزيه في المصيبة ، وأن يصفح عن زلاته ، ولا يطلع إلى داره).[١]

٧-الدعوة إلى العدل والإحسان مع الأيتام :

وهذا الصنف خصه الله تعالى بالعناية والرعاية وحذر من ظلمه ، وأوجب العدل معه بإعطائه حقه والإحسان إليه ، وعدم القرب من ماله ،كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [٣] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [٤] وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ ﴾ [٥] كل هذه الآيات تحث على العدل والإحسان إلى اليتيم بحفظ ماله ، وإصلاحه ، وكذلك دعوة الناس وتذكيرهم بالإحسان إلى الأيتام وإصلاح أموالهم وتنميتها والمحافظة عليها .

سادسًا: الدعوة إلى العدل والإحسان في المجال الاقتصادي

اهتمت الشريعة الإسلامية اهتمامًا بالغًا بالمال الذي يعد قوام الاقتصاد ، وشرعت أنظمة مالية عادلة لتقنين التعاملات التجارية والاقتصادية ، كما

---

(١) تهذيب مختصر منهج القاصدين للإمام ابن قدامة المقدسي ، اختصره ورتبه ، محمد صالح الغرسي ، ص٦٣ .

(٢) سورة الأنعام ، جزء من الآية (١٥٢) .

(٣) سورة النساء ، جزء من الآية (١٢٩) .

(٤) سورة النساء ، الآية (١٠) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٢٠) .

اهتمت الحكومات بهذا الجانب وأنشات المؤسسات الرقابية المالية ، ووضعت المواصفات والمقاييس لضمان الجودة ، وكلفت المراقبين لمنع الغش في الأسواق والتأكد من الالتزام بالأنظمة ، كما سنت العقوبات للمخالفين ، كل هذا من أجل إقامة العدالة والحفاظ على المجتمع .

ومما يؤكد أهمية الدعوة إلى العدل في هذا المجال ماورد في نصوص الوحيين من الأمر بالقسط في الكيل والميزان والنهي عن التطفيف والغش والتدليس .

ومن الآيات الدالة على الدعوة إلى العدل في الكيل والميزان:

قال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾[1] قال الإمام القرطبي – رحمه الله- (لا تبخسوا الناس الكيل إذا كلتموهم ، والوزن إذا وزنتموهم ، ولكن أوفوهم حقوقهم ، وإيفاؤهم ذلك إعطاؤهم حقوقهم تامة ، بالقسط يعني بالعدل)[2]

كما أمر الله تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء، كما توعَّد على تركه بالويل والعذاب في قوله تعالى: ﴿ وَيۡلٌ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [3] .

وفيما يتعلق بالإحسان في البيع والشراء فقد وجهنا رسول الله ﷺ إلى التسامح في البيع و الشراء ، والتعامل باللين والرفق ، فقد ورد في الحديث " رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى " [4]

([1]) سورة الأنعام ، الآية (١٥٢) .

([2]) الجامع لأحكام القرآن ، ١٣٦/٧ .

([3]) سورة المطففين من الآية (١-٦)

([4]) رواه الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه ، كتاب البيوع ، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ، برقم /٢٠٧٦، ٥٧/٣ .

فخلق الإحسان لا بد أن يكون حاضرًا في معاملاتنا المالية مع الآخرين ، ونحن أحوج ما نكون غليه في البيع والشراء .

سابعًا : مجال الدعوة إلى العدل والإحسان في القول عمومًا :

فلا يقول إلا حقًّا، ولا يشهد إلا بالحق ، وأن يتخاطب مع الناس بالحسنى ، وقد أمر الله تعالى بهذا ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٢) وقال سبحانه ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾(٣)

فالعدل والإحسان بالقول في كل أحواله ، فيحذر الظلم وشهادة الزور بقصد التشفي والكره وأخذ الثأر ، فالكذب والزور لإقصاء الآخرين ليس من دأب الصالحين ، بل من دأب الفساق وأهل اللؤم.

وهذا يبين الدقة وتحري العدل في القول والحكم عليه مهما كان القائل عدوًا أو صديقًا ، كما ذكرا في الآية السابقة قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسير الآية: (يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال ، على القريب والبعيد ، والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد ، في كل وقت ، وفي كل حال) .(٤)

---

(١) سورة الأنعام ، جزء من الآية (١٥٢) .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية (٨٣) .

(٣)سورة الإسراء ، الآية (٥٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، ٣٢٨/٣ .

و ذكر الإمام القرطبي -رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ ﴾ بأن العدل يتضمن الأحكام والشهادات، ولو كان الحق على مثل قراباتكم .[١]

ثامنًا : الدعوة إلى الإحسان مع الحيوان

حث الإسلام على الإحسان الشامل الذي يسع كل شيء، ومن ذلك الإحسان للحيوان ، فقد وردت أحاديث كثيرة في الإحسان إلى الحيوان منها ما رواه الإمام مسلم -رحمه الله- " إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ "[٢] ، فإذا كان الإحسان يستلزم في حال الذبح ، فكيف بالأحياء ؟ وهذا من عظمة الإسلام الذي وسع كل شيء ، و هو دين الرحمة والإحسان .

كما أمر الرسول ﷺ أن تحد الشفرة عند الذبح لترتاح الذبيحة ، هذه هي أخلاق الإسلام حتى مع اضعف المخلوقات ، الرحمة والإحسان ، و جزاء من يحسن للحيوان مغفرة الذنوب كما ورد في الحديث السابق .

وقد نهى الإسلام عن التعدي وتعذيب الحيوان، بل وعقوبة من يتعدى عليه كما ورد في الحديث : عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ" [٣]

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٣٧/٧ .

(٢) صحيح الإمام مسلم -رحمه الله- كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة ، برقم / ١٩٥٥، ٥٤٨/٣ .

(٣) رواه الإمام البخاري -رحمه الله -في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب : خمس من الدواب فواسق ،برقم/ ٣٣١٨ ، ١٣٠/٤ .

المبحث الثالث: ثمار الدعوة إلى العدل والإحسان

سأبين ثمار العدل و الإحسان من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول : ثمار الدعوة إلى العدل

الدعوة إلى العدل من أجل الطاعات ، وأعظم القربات ، فيها طاعة واستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ حيث أمرا بالعدل في كل شأن من شؤون الحياة ، وهذه غاية كل مسلم رضا الله ورسوله ﷺ ، والسعي إلى حصول محبته ، كما قال تعالى ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[١]

كما أن من ثمرات الدعوة إلى العدل المحافظة على الضروريات الخمس ، حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض ؛ فبالعدل يُحفظ الدين وتُحفظ النفس والعقل والمال والعرض ، فلا يستطيع أحد أن يعتدي على الآخرين لأنه يعلم أن شرع الله سيطبق عليه، وبذلك يعيش الناس بأمان وطمأنينة ، كما أن الدعوة إلى العدل والقيام به فيه ظهور عزة الإسلام وقوته وإنصافه للناس وبه يؤخذ للمظلوم من الظالم .

كما أن من ثمرات العدل والدعوة إليه بقاء الدول وثباتها واستمرارها ونصرها ، وإشاعة روح المحبة والسلام بين أفراده ، وفيه ترغيب غير المسلمين بالدخول في الإسلام لما يرونه من عدالة الإسلام ، فالجميع سواء أمام أحكام الشريعة لا عنصرية ولا طائفية ولا قبائلية ؛ فينتشر الأمن في البلاد ويعيش الناس في سلام وأمان .

---

(١) سورة الحجرات ، جزء من الآية (٩) .

المطلب الثاني : ثمار الدعوة إلى الإحسان

من أعظم ثمار الإحسان محبة الله للمحسنين كما قال تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) وكذلك رحمة الله تعالى تكون قريبة من المحسنين كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) فعندما يأمر الله تعالى بأمر فإنه يصب في مصالح العباد ، فالإحسان مرده للمحسن وهو من يستفيد أولًا وآخرًا ، قال الإمام ابن القيِّم -رحمه الله- : (فإنَّ الإحْسَان إذا باشر القلب منعه عن المعاصي، فإنَّ مَن عبد الله كأنَّه يراه، لم يكن كذلك إلَّا لاستيلاء ذكره ومحبَّته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنَّه يشاهده، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلًا عن مواقعتها، فإذا خرج مِن دائرة الإحْسَان، فاته صحبة رفقته الخاصَّة، وعيشهم الهنيء، ونعيمهم التَّام، فإن أراد الله به خيرًا أقرَّه في دائرة عموم المؤمنين)(٣)

كما أن الإحسان إلى النَّاس سبب من أسباب انشراح الصدر، فلاشك أن الإحسان والبذل والتضحية نتيجته فرح داخلي يشعر به المحسن ، وينشرح صدره لما قام به من إحسان، وقد ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- أن الإحسان من أسباب انشراح الصدر، فقال: (الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدرا، وأنكدهم عيشا، وأعظمهم همًا وغمًا) (٤)

---

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية (١٩٥) .

(٢) سورة الأعراف ، جزء من الآية (٥٦) .

(٣) الجواب الكافي ، ص٧١ .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط٢٧[مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت , ١٤١٥هـ/١٩٩٤م] ٢٤/٢ .

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين ، هذا ما تيسر لي كتابته في هذا الموضوع المهم الذي غفل عنه الكثير ، وقد تحدثت عن أهمية الدعوة إلى العدل ، وحاجة البشرية إليه ، وما ورد في نصوص الوحيين من تأكيد للدعوة إلى العدل والأمر به ، والمجالات المختلفة التي يمارس فيها العدل ، وقد خلصت الدراسة إلى العديد من النتائج والتوصيات من أهمها :

أولا : النتائج

-أتى الأمر صريحًا من الله ﷻبالدعوة إلى العدل والإحسان ، وإعطاء الحقوق لأصحابها والإحسان إليهم بالقول والفعل .

-إن الحياة لا تستقيم إلا من خلال تحقيق العدل والإحسان بين أفراد المجتمعات والدعوة إليه ، وأن العدل والإحسان يدخلان في كل مجالات الحياة .

- حرص الإسلام على الأمر بالعدل والإحسان في كل شأن من شؤون الحياة .

- في الدعوة إلى العدل والإحسان نشر للسلام والأمن في المجتمع .

- العدل والإحسان يحقق للمجتمع والأفراد الاستقرار والأمن ، ويؤدي إلى التواصل، وعدم القطيعة ،ونشر المحبة والألفة بينهم ، لذا كان من الأهمية بمكان الدعوة إلى العدل والإحسان .

- العدل والإحسان طريقان إلى انشراح الصدر ، وطمأنينة النفس ، وأن المحسن يؤثر في المسيء ، بل ويغير حاله من عدو صديق كما قال تعالى :

-يترتب على ترك الدعوة إلى العدل مفاسد عظيمة أهمها : انتشار الظلم ، والجهل في عواقبه ، وما يترتب عليه من مفاسد دينية ودنيوية منها :

١- الخيبة والخسارة لمن حمل الظلم ، كما قال تعالى:﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (١)

٢- الوعيد الشديد لمن يأكل أموال الناس وخاصة اليتامى ظلمًا كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٢)

٣- انتشار الظلم وأكل حقوق الآخرين .

٤- الحقد والحسد والتباغض والقطيعة بين أفراد الأسرة والمجتمع .

٥- التساهل في التعدي على حدود الله كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (٣)

٦- استجابة دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب ، كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام البخاري -رحمه الله- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ : " اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ "(٤)

ثانيًا : التوصيات

- أوصي بالحرص على الدعوة إلى العدل والإحسان في كل وسيلة وفي كل مجال من مجالات الحياة ، وإرشاد الناس إلى ما يصلح أحوالهم ، وتستقيم بيه

---

(١) سورة طه ، الآية (١١١) .

(٢) سورة النساء ، الآية (١٠) .

(٣) سورة الطلاق ، الآية (١) .

(٤) صحيح الإمام البخاري -رحمه الله - كتاب المظالم والغصب ، باب : الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ، برقم /٢٤٤٨ ، ١٢٩/٣ .

أمورهم ، فإن الله ﷻ أكد بنفسه بالأمر إلى العدل والإحسان في قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ لما فيه من أهمية بالغة ، وآثار عظيمة في حياة الأمم

- ينبغي تحري العدل في الأحكام والقضاء خاصة ، والحذر من اتباع الهوى ، وتغليب المصالح الخاصة .

- الحذر من الظلم فإن عواقبه وخيمة على الأفراد والجماعات .

- إنشاء مبادرات تطوعية للإحسان، وتشجيعها ، والتنافس في تقديم المعونات لا سيما في ظل الظروف التي تمر بها المجتمعات .

- أوصي الأسرة بتحري العدل والإحسان بين أفرادها ، والدعوة والتوجيه إليه ، وعدم تفضيل أحدهم على الآخر ؛ فهي اللبنة الأولى للمجتمع ، وصلاحها هو صلاح للمجتمع .

هذا وأسال الله ﷻ أن أكون قد وفقت في عرض جانب من جوانب هاتين القيمتين العظيمتين (العدل والإحسان) وأن يوفقنا إلى الالتزام بالعدل والإحسان في كل مجالات الحياة إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين ..

وصلى الله على نبينا محمدًا وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر و المراجع :

١) القرآن الكريم .

٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ،ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ط٢ ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٣) الإسلام عقيدة وشريعة ، الإمام محمود شلتوت دار الشروق ، ط١٨ ، ١٤٢١هـ .

٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، السبتي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي ، تحقيق: يحي إسماعيل، ط١ ، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٥) البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير ، ابن الملقن ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وآخرون ، ط١، الرياض : دار الهجرة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية، ، ١٤١٩ هـ .

٧) تهذيب مختصر منهج القاصدين ، ابن قدامة المقدسي ، اختصره ورتبه ، محمد صالح الغرسي ، ط١ بيروت: مؤسسة الريان ، ١٤٢٢هـ .

٨) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المنذري ، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ هـ .

٩)   التعريفات ، الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف ، تحقيق : محمد صديق المنشاوي ، د.ط ، د.م ، نشر دار الفضيلة، د.ت .

١٠)   الجامع الصحيح المختصر ، الإمام البخاري ، محمد بن إسماعيل ،تحقيق: محمد زهير الناصر ، ط١ د.م ،دار طوق النجاة ، ١٤٢٢هـ .

١١)   الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيس، ط٢ ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م.

١٢)   جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، محمد بن جرير ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٥هـ .

١٣)   حقوق الجار في صحيح السنة والآثار ،حسن عبد الحميد ، ط٢، بيروت: دار ابن حزم ، ١٤١٥هـ

١٤)   الجامع الصحيح ، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى،تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط٢، مصر :شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

١٥)   سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط ، بيروت: المكتبة العصرية، ، د.ت.

١٦)   شرح صحيح البخارى ،ابن بطال ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، الرياض: مكتبة الرشد ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

١٧)   شرح رياض الصالحين ، العثيمين ، محمد بن صالح بن محمد ،د.ط ، الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٦ هـ.

١٨) صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق :محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت .

١٩) صحيح مسلم بشرح النووي، النووي، أبو زكريا يحي بن شرف ، ط٢ ، -بيروت : دار إحياء التراث العربي ،١٣٩٢هـ .

٢٠) صحيح سنن أبي داود باختصار السند ، الألباني، محمد ناصر الدين ، لدول الخليج ، ط١، الرياض : مكتب التربية العربي ،١٤٠٩هـ .

٢١) صحيح وضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني ، د.ط ، ، الإسكندرية : مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، د.ت .

٢٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق :أحمد عبد الغفور،ط٤، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٢٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب .

٢٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، تحقيق: محمود بن شعبان وآخرون ،ط١، المدينة النبوية : مكتبة الغرباء الأثرية ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٢٥) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران تحقيق :محمد إبراهيم سليم د.ط ، لقاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، د.ت .

٢٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ،تحقيق :مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف :محمد نعيم العرقسُوسي ،ط٨ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٢٧) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،الكفوي ، أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني ، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ، د.ط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، د.ت .

٢٨) لسان العرب ، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصاري الإفريقى، ط٣،بيروت : دار صادر ، ١٤١٤ هـ .

٢٩) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ،أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، ،ط٢، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٢هـ .

٣٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط١، د.م ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٣١) المستدرك على الصحيحين ،الحاكم ،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ،ط١ ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٣٢) المصنف في الأحاديث والآثار ، ابن أبي شيبة ،أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان تحقيق: محمد عوامة ، ط١، بيروت : دار قرطبة ، ١٤٢٧هـ .

٣٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، النووي ، أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي ط٢، بيروت : دار إحياء التراث ، ١٣٩٢هـ .

٣٤) المجتبى من السنن، السنن الصغرى،النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، ط٢ ،حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤٠٦هـ .

٣٥) المعجم الوسيط ، تأليف : مجمع اللغة العربية إبراهيم مصطفى وآخرون ، د.ط القاهرة دار الدعوة ،د.ت .

٣٦) المغني ، ابن قدامه، أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد المقدسي ،د.ط ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ، ١٣٨٨هـ .

٣٧) الموطأ ،الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ،تحقيق :محمد مصطفى الأعظمي،ط١ ،أبوظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

٣٨) معالم التنزيل ، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد ، ط١،الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع ، ١٤١٦هـ .

٣٩) مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبدالرحمن بن محمد ، تحقيق: خليل شحادة ، ط٢ ، بيروت : دار الفكر، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٤٠) نظم الأمن والعدالة في الإسلام ، محمد الحسيني عبد العزيز ، د.ط ، القاهرة : دار غريب للنشر ، د.ت

٤١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي ، النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١ ، دمشق، بيروت ،دار القلم ، الدار الشامية ، ١٤١٥ هـ .